

سلسلة
بطولات النبي صلى الله عليه وسلم

العصيان والجائزة الكبرى

عبد المنعم الرصاصي

دار الأملين
للطباعة والنشر والتوزيع
إبستان ٥٤٥٧٦٩

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
إبستان ٥٤٥٧٦٩

سلسلة
بطولات النبي ﷺ

العصيان
والبائنة الكبرى

مُحْفَوظٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ



دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
مبنى رقم ١٩، شارع جميل الجياط، مصطفى كامل - إسكندرية
ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - فاكس: ٥٤٤٦٤٩٦ - ت: ٥٢٢٢٠٠٢
توزيع الكتاب والتسجيل الإلكتروني

الحصان والجائزة الكبرى



أنا حصان عربي أصيل، تعرفني من كثرة الصهيل،
فصوت الحصان يسمى الصهيل، صاحبي هو سراقه بن
مالك، وهو من بني مدلج، وبنو مدلج هؤلاء أهل قيافة،
والقيافة هي معرفة الآثار في الطريق، فكان إذا الناس أرادوا
أن يقتفوا أثر هارب أو فار أو غير ذلك جاءوا برجل من بني
مدلج أهل سراقه^(١).

كنت أنا وصاحبي سراقه نزل منطقة تسمى القديد بين
مكة والمدينة وسكننا مكة فترة من الزمن.

علمت أن قريش قد جنّ جنونها حينما أحست أن
محمدًا ﷺ قد أفلت منها ليلة المؤامرة في مكة، وسمعت
أنه كان في الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وكان عبد الله

(١) انظر «طبقات ابن سعد»، ج١، ص ١٨١، ٢٣٢، «الرياض المستنطابة» لليمني
ص ١١٨، «أسد الغابة».

ابن أبي بكر ينزل من عندهما في الفجر، فيصبح مع الناس في مكة كأنه كان نائمًا في مكة، فلا يسمع أمرًا تكن به قريش لرسول الله ﷺ ولأبيه أبي بكر حتى يأتيهما بخبر ذلك حتى يجيء الظلام^(١).

علمت أن الكفار جاؤوا إلى دار أبي بكر، وقرعوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده، وكان أبو جهل رجلاً خبيثًا، فلطم خدها لطمة أطارت قرطها من أذنها^(٢).

لما سمعت هذا الخبر نفرت نفرة أطارت كل طعامي وصهلت ورفعت قدمي إليّ تعبيراً عن غضبي، فنحن معشر الخيل لا نحب الظلم، وعلمت أن عامر بن فهيرة خادم أبي بكر وراعي غنمه كان يرعى الغنم ويتبع بغنمه أثر عبد الله بن

(١) انظر «فتح الباري» (٧/٣٣٦)، و«صحيح البخاري» (ج١ - ص ٥٥٣، ٥٥٤).

(٢) «سيرة ابن هشام».

فإذا ليس لها رباط، فشقت نطاقها اثنين، فعلقت السفرة
بواحد وانتطقت بالآخر، فسميت بذات النطاقين^(١).

ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه،
وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل: عبد الله
ابن أريقط على طريق الساحل.

وأول ما سلك بهما بعد الخروج من الغار اتجه إلى
الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غرباً نحو الساحل، حتى إذا
وصل إلى طريق لهم يعرفه الناس، اتجه شمالاً على مقربة
من البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يسلكه أحدٌ إلا نادراً.

وقد سمعت أن أبا بكر تحدث عن طريقهما هذا فقال:
أسرنا ليلتنا ومن الغد حتى جاء وقت الظهر، دخلا الطريق
لا يمر منه أحد، فرُفِعَتْ لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت
عليها الشمس، فنزلنا عنده، وسويت للنبي ﷺ مكاناً
بيدي، ينام عليه، وبسطت عليه فروة، وقلت: نم يا رسول

(١) «صحيح البخاري» (ج١، ص٥٣٣، ص٥٥٥)، و«ابن هشام» (ج١، ص٤٨٦).

الله، وأنا أراقب لك ما حولك^(١)، فنام، وخرجت أراقب ما حوله، فإذا براعي غنم مُقْبِلٌ بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لِمَنْ أَنْتَ يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، فقلت: أفني غنمك لبن؟

قال: نعم.

قلت: أفتحلب؟ قال: نعم.

فأخذ شاةً، فقلت: انفض الضرع من التراب، والشعر والقذى، فحلب في إناء لبناً، ومعى إدواة حملتها للنبي ﷺ، يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ، فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله! فشرب حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأنِ الرَّحِيلُ»، قلت: بلى: فارتحلنا^(٢).

(١) النص الأصيل: «وأنا أنفض لك ما حولك» وغيرنا للتبسيط.

(٢) صحيح البخاري (ج١، ص١٥١).

كنت في حظيرتي أثناء هذه الأحداث التي رواها الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وكان فارسي سراقاً بن مالك جالساً في مجلس من مجالس بني مدلج وهم أهله وقومه، فجاء رجل وسراقه جالس، فقال: يا سراقاً! إني رأيت ركباً يمشي قريباً من الساحل، أراه أنه محمد وصاحبه أبو بكر الصديق - سكت سراقه وفكر في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يعثر على محمد وهذه الجائزة الثمينة قدرها مئة ناقة.

أجاب سراقاً على الرجل: بأن الذي رأيتم ليسوا هم محمد وصاحبه، ولكنه أضمر في نفسه أنهم حقاً هم محمد وصاحبه.

انتظرت أن يجيء سراقاً ليركبني ويطارد محمداً، ولكن طال الوقت حتى مضت ساعة، وبعد هذا الوقت سمعته يقول لجاريته أخرجي فرسي من وراء الدار، خفيةً، فجاءت الجارية وأخذتني فمشيت خلفها خائفاً، لم أصهل لأني عرفت أنه سر لسراقاً.

ركبني سراقه، وانطلقت أعدو كالريح، وصار سراقه
يحثني على السرعة أكثر وأكثر، فطويت الأرض طياً، وكنت
أركض بسرعة البرق.

شعرت أنني اقتربت من محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر
رضي الله عنه لا أدري لماذا شعرت بالخوف وأنا أجري بسرعة وأقترب
منهما بسرعة كبير، ولكن قدماي لم تعد قادرة على الجري
كأن أحداً يربطهما بوثاق.

وفجأة عثرت بسراقه، فوقعت على الأرض وقعة
أزعجتني، ووقع سراقه على الأرض ثم قام.

علمت أن النبي ﷺ دعا أن تقف أرجلي وأقدامي عن
الحركة، فوقفت ووقعت على الأرض، ولما وقعت كانت
أقدامي كأنها مقيدة عن السير. سمعت سراقه يقول: يا
محمد! ادع الله أن يطلق فرسي فاردّ عنك، فقال النبي
ﷺ: «اللهم إن كان صادقاً فأطلق له فرسه».

شعرت أنني أستطيع المشي والركض بعد هذا الدعاء
وعلمت أن النبي ﷺ محميٌ من ربه سبحانه - عزَّ وجلَّ - .

ركبني سراقه مرةً أخرى، وسمع قراءة رسول الله ﷺ
وهو لا يلتفت إلينا، وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات، وفجأة
وجدت قدمي تغوص في الرمال، حتى بلغت الركبتين
صهلت بأعلى صوتي، استعنت بسراقه، أقدامي تغوص الآن
في الرمال، أوشكُ عليَّ الهلاك .

نزل سراقه عني، ثم زجرني فنهضت بعد أن نزعت
قدمي من الرمل بصعوبة شديدة، وقد شعرت بآلام كثيرة
في مفصل قدمي .

ولما استويت قائمة وجدت أثر قدمي غبار ساطع في
السماء مثل الدخان، ووجدت سراقه ينظر في رماحه، يريد
أن يفرع هل يواصل المطاردة أم لا، ثم ناداهم فجأة - يطلب
الأمان منهم، فوقفوا فركبني سراقه وتقدم إليهم حتى

جئناهم، نظرت إلى الرسول ﷺ مرة ثم نظرت في الأرض لا أستطيع أن أحد النظر في وجهه الكريم، سهلت أسبح بحمد الله وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ، ولكن دعوني أصف لكم رسول الله ﷺ لقد كان:

ظاهر الوضوء، أبلغ الوجه «جميل الوجه»، حسن الخلق، لم تعب ضخامة البدن، وسيم قسيم حسن جميل، في عينيه سواد جميل، وفي شعر أجبانه طول، وفي صوته بحة وخشونة، طويل العنق شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، ربعة لا طويل ولا قصير، حلو الكلام والمنطق، كان غصناً بين غصنين، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر أسرعوا إلى تنفيذ أمره»^(١).

(١) من وصف أم معبد للرسول ﷺ . انظر النص في «زاد المعاد» ج٢، وانظر «صحيح البخاري» (ج١، ص ٥٥٤).

عرف سراقه أن النبي ﷺ سيتتصر على أعدائه، وسيظهر أمره لما رآه من حبسي عن السير وتقييد قدمي كلما اقتربنا من رسول الله ﷺ، فقال للرسول ﷺ: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرهم أخبار ما تريده قريش منهم، من القبض عليهم وإيذائهم لقاء مئة ناقة، وعرض سراقه عليهم الطعام والماء وما يحتاجون، فلم يسألوه، ولم يخذلاه، وقال له الرسول ﷺ: «أخفِ عنَّا»، فسأله سراقه أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له في رقعة كتاب أمان، ثم مضى رسول الله ﷺ^(١)، وقبل أن يركبني سراقه لنعود إلى مكة، هتف رسول الله ﷺ قائلاً: «كيف بك إذا لبست سيواري كسرى؟!»،

(١) انظر «صحيح البخاري» (ج١، ص ٥٥٤).

رجعنا إلى مكة فوجدنا الناس يبحثون عن رسول
الله ﷺ وصاحبه، فلم يفصح سراقه عن شيء،
وصهلت فرحاً، وعلمت أن سراقه كتم السر وحافظ
على العهد الأمان.

وظل سراقه يحفظ الكتاب الذي أعطاه له النبي
ﷺ ويحافظ عليه، فلما فتح الله تعالى مكة، ركبني
وأسرعت كالبرق أطوي الطريق طيًّا حتى لقينا رسول الله
ﷺ بالطريق، فدخل بي في خيل الأنصار، صهلت
تحية لخيل المسلمين، فصهلوا بأحسن منها واقتربت بسراقه
من ناقة رسول الله «القصواء» صهلت تحيةً للناقة فرغت
مرحبةً بي وبمن أحمل على ظهري، وسمعت سراقه يقول
يا رسول الله أنا سراقه بن مالك بن جُعشم، هذا كتابك
لي يوم الهجرة، فقال رسول الله ﷺ : «هذا يوم وفاء
وبراء أدنه».

اقتربت أيضًا من رسول الله ﷺ وسمعت سراقه
يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

وسرت في الموكب العظيم، وأنا أتمايل من شدة الفرحة،
وقد ارتفعت رأس سراقه عالية مؤمنة، وعلت أصوات
المسلمين بالتكبير وكنا نحن معشر خيل المسلمين نصهل
صهيل النصر المبين، وسمعنا بالقرب من رسول الله ﷺ
يقول: «قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً».

وتردد في أرجاء مكة، وفوق جبالها أوديتها كلمات
عظيمة من القرآن الكريم تقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣﴾ هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ولله جنود
السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴿سورة الفتح: ١-٤﴾.

مرت سنوات طويلة وأصبحت حصاناً عجوزاً، وفتح
المسلمون بلاد فارس، وجاء إلى عمر بن الخطاب سوري
كسرى ومنطقه (حزامه) وتاجه، دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سراقة بن مالك رضي الله عنه فألبسه سوارى كسرى قائلاً له: ارفع
يديك، وقل: الله أكبر!! الحمد لله الذي سلبها كسرى بن
هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي.

فردد سراقة قائلاً: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما
كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي!!
هذه قصتي مع سراقة بن مالك رضي الله عنه وأرضاه.

نشاطات تعليمية

١. من هو سراقه بن مالك؟

.....

٢. هل لحق بالرسول في الطريق؟

.....

٣. وماذا كان بينه وبين رسول الله ﷺ؟

.....

٤. هل أوفى سراقه بعهده مع النبي ﷺ؟

.....

